

صيد الخاطر

201 - - فصل : الزهد الظاهري .

ما يكاد يحب الاجتماع بالناس إلا فارغ .

لأن المشغول القلب بالحق يفر من الخلق و متى تمكن فراغ القلب من معرفة الحق امتلأ بالخلق فصار يعمل لهم و من أجلهم و يهلك بالرياء و لا يعلم .

و إنني لأتأمل بعض من يتزى بال فقر و التصوف و هو يلبس ثيابا لا تساوي ديناراً و عنده المال الكثير و قد أمرع نفسه في المطاعم الشهية و هو عامل بمقتضى الكبر و التصدر فتقرب إلى أرباب الدنيا و يستدري أرباب العلم و يزور أولئك دونهم .

و إنما يرد ما يعطى ليشيع له اسم زاهد فتراه يربي الناموس و هو في احتياله كئيل و في نهوضه إلى أغراضه في الباطن كلب شري .

فأقول : سبحان الله ما يزهد إلا الثياب أترى : ما سمع قول النبي صلى الله عليه و سلم : [إن الله يحب أن يري أثر نعمته على عبده ؟] .

و أعوذ بالله من رؤية النفس رؤية الخلق فإن من رأى نفسه تكبر و المتكبر أحق لأنه ما من شيء يتكبر به إلا و لغيره أكثر منه .

و من رآءى الخلق عبدهم و هو لا يعلم .

فأما العامل في سبحانه و تعالى فهو بعيد من الخلق فإن تقربوا إليه ستر حاله بما يوجب بعدهم عنه .

و قد رأينا من يراني و لا يدري فيمتنع من المشي في السوق و من زيارة الإخوان و من أن يشتري شيئاً بنفسه .

و توهمه نفسه أني أكره مخالطة السوق و إنما هذا يربي جاها بين العلماء إذ لو خالطهم لا متحنى جاها و بطل تقبيل يده .

و قد كان بشر الحافي يجلس في مجلس عند العطار .

و أبلغ من هذا كله أن نبينا صلى الله عليه و سلم كان يشتري حاجته و يحملها و خرج علي بن أبي طالب B و هو أمير المؤمنين فاشترى ثوبا و قد كان طلحة بن مطرف قارئ أهل الكوفة فلما كثر الناس عليه مشى إلى الأعمش فقراً عليه فمال الناس إلى الأعمش و تركوا طلحة .

هذا و الله الكبريت الأحمر و الإكسير لا يظن إكسيراً في الكيمياء .

و المعاملة مع الله تعالى هكذا تكون .

فأما ضد هذه الحال فحالة عابد للخلق ملبس و قد عم هذا جمهور الخلق حاشا السلف .

(أفدي طباء فلاة ما عرفن بها ... مضغ الكلام و لا صبغ الحواجيب)